

العنوان:	النبوات عند ابن حزم من خلال كتابه الفصل في الملل و الأهواء و النحل
المؤلف الرئيسي:	أبونائب، على محمد عبدالله
مؤلفين آخرين:	الفاهم، نصر بن محمد الكيلاني(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2008
موقع:	أم درمان
الصفحات:	1 - 473
رقم MD:	621043
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
اللغة:	Arabic
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة أم درمان الاسلامية
الكلية:	كلية أصول الدين
الدولة:	السودان
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	النبوة ، ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد، 384-456 هـ، كتاب : الفصل في الملل و الأهواء و النحل، العقيدة الإسلامية ، الملل و النحل
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/621043

للاستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب أسلوب الاستشهاد المطلوب:

أسلوب APA

أبونائب، على محمد عبدالله، و الفاهم، نصر بن محمد الكيلاني. (2008). النبوات عند بن حزم من خلال كتابه الفصل في الملل و الأهواء و النحل (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة أم درمان الإسلامية، أم درمان. مسترجع من <http://621043/Record/com.mandumah.search/>

أسلوب MLA

أبونائب، على محمد عبدالله، و نصر بن محمد الكيلاني الفاهم. "النبوات عند بن حزم من خلال كتابه الفصل في الملل و الأهواء و النحل" رسالة ماجستير. جامعة أم درمان الإسلامية، أم درمان، 2008. مسترجع من <http://621043/Record/com.mandumah.search/>

الفصل الأول: التعريف بابن حزم وأسرته، وأثر الحياة الاجتماعية والسياسية على علمه.

المبحث الأول : التعريف بابن حزم وأسرته.

المبحث الثاني: أثر الحياة الاجتماعية والسياسية على علمه.

المبحث الأول: التعريف بابن حزم وأسرته.

المطلب الأول : أسرة بن حزم، مولده ونسبه.

أولاً : المولد:

ولد ابن حزم في يوم الأربعاء آخر يوم من رمضان، الموافق للسابع من نوفمبر سنة ٣٨٤هـ، بعد الفجر وقبل شروق الشمس، بالجانب الشرقي من قرطبة الواقعة في بلاد الأندلس حاضرة العلم في أوربا آنذاك، وهذا التحديد الدقيق لتأريخ ولادته ذكر القاضي صاعد بن أحمد^(١) أنه كتبه إليه ابن حزم

^١ هو صاعد بن أحمد المالقي، أبو القاسم القرطبي، الأندلسي قاضي طليطلة . كان عالماً بالأخبار، صنف التعريف بطبقات الأمم قيل: إنه توفي سنة ٤٩٧هـ . انظر أحمد بن ناصر بن محمد آل حمد : ابن حزم وموقفه من الإلهيات عرض ونقد، رسالة دكتوراة في العقيدة الإسلامية، جامعة الملك عبد العزيز ، ١٩٧٩ م ، ص ١٤ . وقد أحال إلى هدية العارفين لإسماعيل باشا ج ٥ ، ص ٤٢١ .

نفسه بخط يده، يقول ابن حزم رحمه الله تعالى: "ولدت بقرطبة في الجانب الشرقي من ربض منية المغيرة، قبل طلوع الشمس وبعد سلام الإمام من صلاة الصبح آخر ليلة الأربعاء آخر يوم من شهر رمضان المعظم، وهو السابع من نوفمبر سنة أربع وثمانين وثلاثمائة بطالع العقرب" (١).

وقد أجمعت المصادر التي تكلمت عن ابن حزم على تعيين تأريخ ومكان ميلاده، وكلهم عيال علي صاعد بن أحمد، ولم يخالف في تأريخ ميلاده إلا ياقوت الحموي في كتابه معجم الأدباء حيث قال: [ولد بعد صلاة الصبح في آخر يوم في شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة وهو ابن اثنتين وسبعين سنة إلا شهراً] (٢)، وقال في تأريخ موته [مات فيما ذكره صاعد بن أحمد الجبائي في كتابه أخبار الحكماء في سلخ شعبان سنة ست وخمسون وأربعمائة] (٣)، وهذا يعني أن عمره ثلاث وسبعون سنة إلا شهراً، وهذا مخالف لجميع الأقوال في تحديد عمره بما فيها قول صاعد (٤)، وعليه فلا اعتبار لخلاف ياقوت الحموي؛ لأنه تحريف في النسخ بلا شك.

ثانياً: الاسم والنسب، الكنية والشهرة :

يكنى ابن حزم نفسه في كتبه بأبي محمد، واسمه علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان، بن يزيد مولى يزيد

١ أبو القاسم خلف بن عبد الملك المعروف بابن بشكوال : الصلة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦ م، ج ٢، ص ٤١٧. وانظر د.

أحمد بن ناصر بن محمد آل حمد : ابن حزم وموقفه من الإلهيات عرض ونقد، ص ٢٧.

٢ أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي : معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م، ج ٣، ص ٥٤٧.

٣ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج ٣، ص ٥٤٧.

٤ حيث قال عندما ذكر تأريخ ميلاده: وهو ابن اثنتين وسبعين سنة إلا شهراً، ولا يتأتى ذلك إلا إذا كان ميلاده سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، وليس سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة. وإنما ركزنا على تأريخ الميلاد دون الوفاة لانفاق الجميع على تأريخ الوفاة بمن فيهم ياقوت الحموي، ما عدا اثنين سيأتي الرد عليهم إن شاء الله عندما نتكلم عن وفاة ابن حزم.

بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس الأموي القرشي^(١) أخو معاوية رضي الله عنه^(٢). وقد اشتهر بأبن حزم وهو جده الثاني، وصفه الإمام الذهبي في تذكرة الحفاظ بقوله: "الفارسي الأصل الأموي اليزيدي القرطبي"^(٣) الظاهري^(٤) صاحب التصانيف^(٥).

وابن حزم فارسي الأصل، لكنه لم يسلم كما يقول الإمام أبوزهرة من طعن في نسبه، فقد أنكر أبوحيان أن ابن حزم فارسي الأصل، وقال: إنه من عرب لبلة^(٦)، وأنه غير معروف الجنس!^(٧).

ويقول بهذا القول ابن سعيد في كتابه المغرب في حلي المغرب^(٨).

ويدعي المؤرخ الأسباني سانتشيت البرنس أن ابن حزم أسباني الأصل، ويقول بمثل ذلك كثير من الباحثين المستشرقين، ويسايرهم في ذلك الدكتور طه الحاجري في كتابه ابن حزم صورة أندلسية^(٩).

وهذا الطعن منهم في نسب ابن حزم مرفوض للأسباب التالية:

^١ أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي: تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ج ٣، ص ١١٤٦.

^٢ أحمد بن ناصر بن محمد آل حمد: ابن حزم وموقفه من الإلهيات عرض ونقد، رسالة دكتوراة في العقيدة الإسلامية، جامعة الملك عبد العزيز، ١٩٧٩ م، ص ٦٢.

^٣ نسبة إلى قرطبة. من بلاد الأندلس. التي ولد فيها.

^٤ نسبة إلى الظاهر فقد كان الإمام بن حزم من أهل الظاهر، يأخذ بظواهر النصوص ويتبع عن التأويل، ولا يأخذ بالرأي.

^٥ الإمام الذهبي، تذكرة الحفاظ ج، ص ١١٤٦.

^٦ وهي غربي قرطبة بينهما ثلاثون فرسخا وكانت قديما فيما يزعم بعضهم قاعدة ملك الروم وبها كان كرسيهم الأعظم. انظر ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله: معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، ج ١، ص ١٩٥.

^٧ الإمام محمد أبوزهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، ١٩٨٩ م. ص ٥٥١.

^٨ انظر د. أحمد بن ناصر بن محمد آل حمد: ابن حزم وموقفه من الإلهيات عرض ونقد، ص ١٥. وأحال إلى المغرب في حلي المغرب ج ١، ص ٣٥٥.

^٩ انظر د. أحمد بن ناصر بن محمد آل حمد: ابن حزم وموقفه من الإلهيات عرض ونقد، ص ١٦.

السبب الأول: اتفاق أكثر المؤرخين القدامى الذين ترجموا لابن حزم على أنه من أصل فارسي^(١).

السبب الثاني: تعصب الغربيون لإسبانية ابن حزم ، وانخداع من وافقهم بذلك^(٢).

السبب الثالث: تصريح ابن حزم نفسه بأنه من أصل فارسي، وشهادة تلاميذه بذلك ، وعلى رأسهم تلميذه الحميدي^(٣) في كتابه جذوة المقتبس حيث قال: "علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب أبو محمد أصله من الفرس، وجده الأقصى في الإسلام اسمه يزيد مولى ليزيد بن أبي سفيان"^(٤).

السبب الرابع: لو كان انتماء ابن حزم إلى فارس على غير حقيقة، لكان أول من يكذبه ابن عمه أبو المغيرة عبد الوهاب الوزير؛ لما كان بينهما من المنافسة، حتى عاب أبو المغيرة بعض مؤلفات ابن حزم^(٥).

السبب الخامس : لا يتصور سكوت أعداء ابن حزم عن انتمائه للفرس لو لم يكن هذا الانتماء صحيحاً.

^١ انظر د. أحمد بن ناصر بن محمد آل حمد : ابن حزم وموقفه من الإلهيات عرض ونقد ، ص ١٤ .

^٢ انظر د. أحمد بن ناصر بن محمد آل حمد : ابن حزم وموقفه من الإلهيات عرض ونقد ، ص ١٩ .

^٣ هو أبو عبد الله الحميدي محمد بن نصر بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد بن بطل، الميورقي، الحافظ الحجة العلامة مؤلف الجمع بين الصحيحين ، وجذوة المتبس، توفي في ذي الحجة عن نحو سبعين سنة وكان أحد أوعية العلم وكان ظاهري المذهب أكثر عن ابن حزم وابن عبد البر، انظر عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط ، دار بن كثير ، دمشق ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ ، ج ٣ ، ص ٣٩٢ .

^٤ أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي: جذوة المقتبس في تأريخ علماء الأندلس، تحقيق ابراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط ٢ ، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م . ج ٢ ، ص ٤٨٩. وانظر د. أحمد بن ناصر بن محمد آل حمد : ابن حزم وموقفه من الإلهيات عرض ونقد ، ص ٢٤ .

^٥ انظر أحمد بن المقرئ التلمساني : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت ، ١٣٨٨هـ ، ج ٢ ، ص ٧٩ ، وما بعدها ، تجد هناك تفاصيل المشاجرة بين ابن حزم وابن عمه أبي المغيرة.

السبب السادس: الطعن الذي ذكره ابن حيان في نسب بن حزم . وتبعه من تلاه ممن طعن في نسب ابن حزم (١) كابن سعيد المغربي . وهو قول ابن حيان عن ابن حزم : " فقد عهده الناس حامل الأبوة مولد الأرومة" (٢) ، يشعر بالأسلوب ذي الهجوم العدائي لابن حزم، ويخالف ما ذكره الفتح بن خاقان حيث قال في المطمح: " وبنو حزم فتية علم وأدب، وثنية مجد ونسب" (٣).

وكيف يكون هذا النسب لأسرة خاملة وفيه يزيد بن أبي سفيان القرشي، نائب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه على دمشق، وأخو أمير المؤمنين!.

السبب السابع: هنالك قرائن تجعلنا نرجح القول بأن أصل ابن حزم فارسي منها:

أ . عدم تعرضه لنسب النصارى في كتابه جمهرة أنساب العرب . رغم تعرضه لذكر نسب البربر، ونبذة من نسب بني إسرائيل ، وقطعة من نسب الفرس، مع مهاجمته للمسيحية كثيراً، مما يؤكد من بعض الوجوه أنه لم يكن في نسبه نصارى (٤).

ب . تصريحه بأن محبته لذوات الشعر الأشقر عارضة له، ولأبيه قبله حيث قال في كتابه طوق الحمامة: " وعني أخبرك أنني أحببت في صباي جارية لي شقراء الشعر، فما استحسننت من ذلك الوقت سوداء الشعر، ولو أنه على

١ وقد ذكرنا أنه ممن طعن في نسب ابن حزم غير ابن حيان، موسى بن سعيد المغربي، والمؤرخ الأسباني سانتششت البرنس ، وكثير من الباحثين المستشرقين، والدكتور طه الحاجري. انظر الصفحة السابقة.

٢ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٣ ، ص ٥٥٣ .

٣ أحمد بن المقرئ التلمساني : نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١ ، ص ٦٢٠ .

٤ انظر د. أحمد بن ناصر بن محمد آل حمد: ابن حزم وموقفه من الإلهيات عرض ونقد ، ص ٢٧ .

الشمس أو على صورة الحسن نفسه، وإني لأجد هذا في أصل تركيب من ذلك الوقت، لا تواتيني نفسي على سواه ولا تحب غيره ألبته ، وهذا العارض بعينه عرض لأبي رضي الله عنه، وعلى ذلك جرى إلى أن وافاه أجله" (١).

وأيضاً: محاولته تبرير هذا العارض بأنه حصل مع العرب الأقحاح من خلفاء بني أمية، وأنهم كانوا يفضلون الشقرة حيث قال: "وأما جماعة خلفاء بني مروان رحمهم الله ولا سيما ولد الناصر منهم، فكلهم مجبولون على تفضيل الشقرة، لا يختلف في ذلك منهم مختلف. وقد رأيناهم ورأينا من رآهم من لدن دولة الناصر إلى الآن، فما منهم إلا أشقر نزاعاً إلى أمهاتهم، حتى قد صار ذلك فيهم خلقة، حاشا سليمان الظافر رحمه الله، فإني رأيته أسود اللمة واللحية" (٢).

بل ذكر ابن حزم أن عبد الملك بن مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن أمير المؤمنين كان شاعراً وكان أكثر تغزله بالشقر (٣).

وأقوي من ذلك كله في تأكيد أن أصل ابن حزم فارسي الأصل، تصريح ابن حزم بنفسه في شعره، بأصله الفارسي كما في قوله:

سما بي ساسان ودارا وبعدهم * قريش العلا أعياصها (٤) والعنابيس (٥).

١ على بن أحمد بن سعيد بن حزم: طوق الحمامة في الألفة والألاف، ضبطه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط ٣، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م ، ص ٢٩.

٢ على بن أحمد بن سعيد بن حزم: طوق الحمامة في الألفة والألاف، ص ٢٩.

٣ على بن أحمد بن سعيد بن حزم: طوق الحمامة في الألفة والألاف، ص ٢٩.

٤ الأعياص هم : العاصي ، وأبو العاصي، وأبو العيص، والعويس، وأبو عمرو من ولد بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، سمو بذلك أخذاً من أسمائهم، وقد أحال د. ناصر هذا التوضيح لابن حزم نفسه في جمهرة أنساب العرب ص ٧٨، وللقلقشندي ص ٨٣. على بن أحمد بن سعيد بن حزم: طوق الحمامة في الألفة والألاف، انظر د. أحمد بن ناصر بن محمد آل حمد : ابن حزم وموقفه من الإلهيات عرض ونقد ، ص ٢٨ ، حاشية رقم ١.

فما أخرجت حرب مراتب سؤددى* ولا قعدت بي عن ذرا المجد فارس(٢).

المطلب الثاني: نشأة ابن حزم، أسرته، ووفاته.

أولاً: نشأة ابن حزم وأسرته :

نشأ ابن حزم رحمه الله تعالى في أسرة غنية ذات نسب وحسب، وشعر وأدب، وعلم وعز، وجاه وسلطان، فلم يعرف في صباه الحاجة أو الحرمان، إذ كان أبوه أحمد بن سعيد بن حزم من كبار الوزراء، ولي الوزارة للحاجب المنصور بن أبي عامر في زمن بني أمية ثم لابنه المظفر من بعده، وأما مسكنه الذي نشأ فيه فهو قصر أبيه الوزير حيث الترف والنعيم(٣)، وكان أبوه أحمد شاعراً أديباً بليغاً ومما أنشده لولده: إذا شئت أن تحيا فلا تكن على حالة إلا رضيت بدونها(٤).

ولكن رغم هذا الترف الذي كان الإمام ابن حزم غارقاً فيه، كانت عناية أبيه به تحيط به من كل صوب، فقد جعل له أبوه رقائب ورقباء، ما زالوا به حتى ملك نفسه، ولم يكتف أبوه بذلك، بل منذ أن ملك ابن حزم نفسه جعل له أبوه رجلاً صالحاً تقياً، وقوراً حصوراً، عاقلاً زاهداً، عالماً عاملاً بعلمه، يلازمه ،

١ العنابس هم ، عمرو ، وسفيان ، وأبوسفيان وحرب ، وأبوحرب وعنبسة قيل هو أبوسفيان من ولد بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وهم إخوة الأعياص. وقد أحال د. ناصر هذا التوضيح لابن حزم نفسه في جمهرة أنساب العرب ص ٧٨، وللقلقشندي ص ٨٣. على بن أحمد بن سعيد بن حزم: طوق الحمامة في الألفة والألاف، انظر د. أحمد بن ناصر بن محمد آل حمد : ابن حزم وموقفه من الإلهيات عرض ونقد ، ص ٢٨، حاشية رقم ٢.

٢ انظر د. أحمد بن ناصر بن محمد آل حمد : ابن حزم وموقفه من الإلهيات عرض ونقد ، ص ٢٧ .

٣ انظر أحمد بن المقرئ التلمساني : نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ج ١ ، ص ٦٢٠. وانظر الإمام محمد أبوزهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية ج ٢ ، ص ٥٥٢، ٥٥٤، ٥٥٣.

٤ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركلي مصطفى ، دار إحياء التراث ، بيروت — لبنان، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، ج ٦ ، ص ٢٤١.

ويجلسه في مجالس العلماء والشيخوخ يتلقى عنهم ما تدركه سنه ويعيه عقله من العلوم الشرعية، ويقتي بهم في الأخلاق العلية، ذلك الرجل هو: أبو علي الحسين بن علي الفارسي.

وعن هذه التربية العظيمة والنشأة الكريمة يقول ابن حزم رحمه الله تعالى: "كان السبب فيما ذكرته (١) أنني كنت وقت تأجج نار الصبا، وشره الحداثة، وتمكن غرارة الفتوة، مقصوراً مُحظراً على بين رقباء ورقائب، فلما ملكت نفسي وعقلت صحبت أبا علي الحسين بن علي الفارسي (٢) في مجلس أبي القاسم عبدالرحمن بن أبي يزيد الأزدي شيخنا وأستاذي رضي الله عنه، وكان أبو علي المذكور عاقلاً عالماً ممن تقدم في الصلاح والنسك الصحيح في الزهد في الدنيا والاجتهاد في الآخرة، وأحسبه كان حصوراً؛ لأنه لم تكن له امرأة قط، وما رأيت مثله جملة عالماً وعملاً وديناً وورعاً، فنفعني الله به كثيراً، وعلمت موقع الإساءة وقبح المعاصي" (٣).

وهذه الرقابة التي جعلها لها أبوه كان من ثمارها استقامة ابن حزم على الطاعة، وعفته التي أشرنا إليها آنفاً، حتى قال تحدثاً بنعمة الله عليه، وليس رياءً ولا سمعة: "وإني أقسم بالله أجل الإقسام أنني ما حلت مزري على فرج حرام قط، ولا يحاسبني الله بكبيرة الزنا مذ عقلت إلى يومي هذا. والله المحمود على ذلك، والمشكور فيما مضى، والمستعصم فيما بقي" (٤).

١ يقصد نشأته عفيفاً مستقيماً ، وكان ابن حزم قبل هذا الكلام يتحدث عن نعمة الله عليه، إذ جعله عفيفاً مطيعاً له سبحانه، وأنه ما زنى بامرأة مذ عقل وإلى اللحظة التي كان يتكلم فيها. انظر ابن حزم: طوق الحمامة في الألفة والألاف، ص ١٢٢.

٢ هو: أبو علي الحافظ الامام محدث الاسلام، اسمه: الحسين بن علي بن يزيد بن داود النيسابوري، ولد سنة ٢٧٧ هـ، أحد جهابذة الحديث، مولده سنة ٢٧٧ هـ، قال أبو عبد الله الحاكم: هو واحد عصره في الحفظ والإتقان والورع والمذاكرة والتصنيف، توفي في جمادى الأولى سنة ٣٤٩ هـ. انظر الإمام الذهبي: تذكرة الحفاظ ج ٣، ص ٩٠٢، ٩٠٥.

٣ ابن حزم: طوق الحمامة في الألفة والألاف، ص ١٢٢، ١٢٣.

٤ ابن حزم: طوق الحمامة في الألفة والألاف، ص ١٢٢.

وفي كلامه هذا من الاعتراف بنعمة الله ، والتوكل على الله، والاستعصام به، ونسبة النعمة إليه، وإظهار الحاجة والذل إليه، والتواضع له سبحانه، ما لا يخفى على كل ذي لب .

ومن ثمارها أيضاً : كرم النفس، وحبه للتدين، وحفظه للقرآن في سن مبكرة، فقد قامت الجواري اللاتي جعلهن أبوه عليه رقيات، بتحفيظه القرآن، وتعليمه الشعر والأدب. تساعده في ذلك هبة ربانية، إذ أعطاه الله ذكاءً عظيماً و فهما عميقاً ، وسرعة في البديهة، وذاكرة قوية، وهمة للحفظ والفهم عالية. قال تلميذه الحميدي في جذوة المقتبس : "وما رأينا مثله رحمه الله فيما اجتمع له مع الذكاء وسرعة الحفظ، وكرم النفس والتدين" (١). وقال أيضاً: "وما رأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه، وشعره كثير" (٢). ومن ثمارها أيضاً : تعلمه العلم الشرعي في وقت مبكر حتى انتهى به ذلك إلى أن صار من الحفاظ ، وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله عندما نتكلم عن تأثير الحياة الاجتماعية على علمه (٣). هذا عن نشأة ابن حزم رحمه الله تعالى.

وأما أسرته فقد تقدم بعض الكلام على أبيه، حيث ذكرنا أن أباه كان وزيراً للحاجب المنصور بن أبي عامر في زمن بني أمية، ثم لابنه المظفر من بعده ، وذكرنا أنه كان شاعراً أديباً بليغاً (٤) . ولقد ولد أبوه بقرية الزاوية (٥)، وعليه فيكون هو أول من سكن قرطبة، حيث ولادة ابنه أبو محمد علي بن حزم الذي نترجم له الآن.

١ أبو عبدالله محمد بن أبي نصر الحميدي: جذوة المقتبس في تأريخ علماء الأندلس، ج ٢ ، ص ٤٨٩.

٢ أبو عبدالله محمد بن أبي نصر الحميدي: جذوة المقتبس في تأريخ علماء الأندلس، ج ٢ ، ص ٤٨٩.

٣ انظر ص ١٤ وما بعدها.

٤ انظر ص ٨.

٥ انظر أحمد بن المقرئ التلمساني : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ج ٢ ، ص ٨٣.

ولم تذكر المصادر التي ترجمت لابن حزم . فيما اطلعت عليه . شيئاً عن أمه، بل ولم يذكر ابن حزم نفسه في كتابه طوق الحمامة شيئاً عن أمه، مع أنه بين في هذا الكتاب الكثير من جوانب حياته، وركز على الكلام في الحب، فكيف يغيب عن ذهنه الكلام على حب الأم الذي هو أولى من غيره بالذكر، بل كيف لا يذكره وهو الوفي الذي يقول عن نفسه إنه جُبِلَ على طبيعتين أحدهما: "وفاء لا يشوبه تلون قد استوت فيه الحضرة والغيب، والباطن والظاهر، تولده الألفة التي لم تعزف بها نفسي عما دريته، ولا تتطلع إلى عدم من صحبتها" (١). وهو القائل أيضاً : "لقد منحني الله عز وجل من الوفاء لكل من يمت إلى بلقية واحدة" (٢). إن هذه التصريحات منه تجعلني استبعد رأي من يقول : لعل هذا السكوت كان من عاداتهم (٣)، وأرجح رأي من يقول "لعل مرجع ذلك أنه لم يعرفها معرفة واعية وأنها ماتت وهو في سن الطفولة" (٤).

ولعل الراجح أن أم ابن حزم كانت أسبانية كما جزم بذلك المؤرخ الأسباني سانتشت البرنس حيث قال: "وكانت الأم [أي: أم ابن حزم] أسبانية على التأكيد؛ لأن مسلمي الأندلس حتى الخلفاء منهم ولدوا لأمهات ينحدرون من سلاسل أسبانية عريقة" (٥) ، وتوجد قرينة قوية ترجح أن أم ابن حزم أسبانية الأصل تؤخذ من قول ابن حزم في طوق الحمامة: "وعني أخبرك أنني أحببت في صباي جارية لي شقراء الشعر، فما استحسنت من ذلك الوقت

^١ ابن حزم، طوق الحمامة في الألفة والألاف، ص ١١٢.

^٢ ابن حزم، طوق الحمامة في الألفة والألاف، ص ٨٠.

^٣ انظر د. توفيق بن أحمد الغلبزوري الإدريسي : المدرسة الظاهرية بالمغرب والأندلس نشأتها . أعلامها . أصولها . وأثرها ، مكتبة ودار ابن حزم، الرياض ، السعودية ، ط ١، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م. ص ٤٦٧.

^٤ انظر د. أحمد بن ناصر بن محمد آل حمد: ابن حزم وموقفه من الإلهيات عرض ونقد ، ص ٣٢ .

^٥ د. أحمد بن ناصر بن محمد الحمد: ابن حزم وموقفه من الإلهيات عرض ونقد ، ص ١٦ . وأحاله إلى ابن حزم قمة اسبانية للمؤرخ الأسباني سانتشت البرنس ، ترجمة الدكتور الطاهر مكي ص ١٤٣.

سوداء الشعر، ولو أنه على الشمس أو على صورة الحسن نفسه، وإني لأجد هذا في أصل تركيبي من ذلك الوقت" (١)، فقله: وإني لأجد هذا في أصل تركيبي من ذلك الوقت، يدل على أن أمه أسبانية من ذوات الشعر الأشقر، والله أعلم.

وأما أبناء ابن حزم فمنهم أبو رافع الفضل الفقيه الظاهري، الأديب النبيه الألمعي، وهو الذي أذاع مؤلفات أبيه، وأكمل كتاب أبيه المحلي (٢)، وهو أكبر أبناءه سنّاً وأجلهم قدراً، كان وزيراً للمعتمد بن عباد وتوفي بالزلافة سنة ٤٧٩ هـ (٣).

ومن أبناءه أيضاً أبو سليمان المصعب، سمع من أبيه، وحدث عنه ابن أخيه أبو العباس الفتح بن أبي رافع الفضل، وكذلك أبو الحسن ابن الأخضر (٤)، قال فيه الحافظ ابن الأنبار [وكان على سنن سلفه من طلب العلم وحملِه] (٥).

^١ على بن أحمد بن سعيد بن حزم: طوق الحمامة في الالفة والألاف، ص ٢٩.

^٢ انظر أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي: السفر الخامس من كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة بيروت، لبنان: ١٩٦٥ م. ج ٢، ص ٥٤٠.

وانظر ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك: الصلة، ج ٢، ص ٤٦٤، ٤١٥ فما بعدها.

^٣ انظر د. توفيق بن أحمد الغلبزوري الإدريسي: المدرسة الظاهرية بالمغرب والأندلس نشأتها - أعلامها - أصولها - وأثرها، وقد أحال المؤلف إلى كتاب المورد الأحملي في اختصار المحلي لمؤلف مجهول، مخطوط الخزنة بالرباط رقم ٤٠ ق.

^٤ أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي: التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام المراس، دار الفكر للطباعة، لبنان، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م، ج ٢، ص ١٨٧، ١٨٨.

^٥ أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي: التكملة لكتاب الصلة، ج ٢، ص ١٨٨.

ومن أبناءه أيضاً: أبو أسامه يعقوب، روى عن أبيه وعن أبي عمر بن عبد البر، توفي سنة ٥٠٣هـ، قال ابن بشكوال: "وكان من أهل النباهة والاستقامة من بيت علم وجلالة" (١) .

ونذكر ابن حزم أن له اخاً اسمه أبا بكر مات شاباً في الطاعون الواقع بقرطبة سنة ٤٠١ هـ وهو ابن ست وعشرين سنة، وماتت زوجته عاتكة بنت قند كمداً عليه بعده بعام (٢) .

ومن أسرة ابن حزم ابن عمه أبو المغيرة عبد الوهاب بن حزم، الذي أشرنا إليه وإلى المنافسة الشديدة التي كانت بينه وبين الإمام أبو محمد ابن حزم (٣)، قال فيه صاحب المطمح، مادحاً إياه خاصة ، وبني حزم عامة: "الوزير الكاتب أبو المغيرة عبد الوهاب بن حزم: وبنو حزم فتية علم وأدب، وثنية مجد وحسب، وأبو المغيرة هذا في الكتابة أوحده، لا ينعت ولا يحد، وهو فارس المضمار، حامي ذلك الدمار، وبطل الرّغيل، وأسد ذلك الغيل (٤)، ونسق المعجزات، وسبق في المعضلات الموجزات، إذا كتب وشى المهارق (٥) ودبج (٦)، وركب من بحر البلاغة التّبج (٧)" (٨) .

^١ انظر د. توفيق بن أحمد الغلبوري الإدريسي: المدرسة الظاهرية بالمغرب والأندلس نشأتها . أعلامها . أصولها . وأثرها، ص ٤٧٠ .

^٢ على بن أحمد بن سعيد بن حزم: طوق الحمامة في الألفة والألاف، ص ١١٤ .

^٣ انظر ص ٤ . وانظر أحمد بن المقرئ التلمساني : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢ ، ص ٧٩ ، وما بعدها ، تجد هناك تفاصيل المشاجرة بين ابن حزم وابن عمه أبي المغيرة .

^٤ الغيل هو: الشجر الكثير الملتفّ ، ويطلق على موضع الأسد غيل. انظر محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ج ٣٠، ص ١٣٧، ١٣٦ .

^٥ المهرق: الصيغة البيضاء، والجمع مهارق. انظر محمد بن مكرم بن منظور المصري: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج ١٠، ص ٣٦٨ .

^٦ دبج أي زين، فجعلها كالديباج، انظر ابن منظور : لسان العرب ج ٢، ص ٢٦٢ .

^٧ التّج : اضطراب الكلام وتفننه، والمقصود هنا . والله أعلم . التّفنن باستخدام البلاغة، انظر لسان العرب ج ٢، ص ٢٢٠ .

^٨ أحمد بن المقرئ التلمساني : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص ٦٢٠ .

وأول من دخل إلى الأندلس من أسرة الإمام ابن حزم هو جدهم خلف بن معدان بن سفيان، بن يزيد مولى يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس الأموي القرشي (١).

ثانياً: وفاته:.

عاش ابن حزم في بداية نشأته حياة رغدة، ثم أعقبتها حياة مليئة بالمحن لكنه كان قوي الإرادة ، فقد تغلب على تلك المحن . والتي منها إحراق كتبه . بنشر علمه حتى وصل إلينا تراثه ، فله دره.

ولد بقرطبة (٢) ثم انتقل منها . عندما تقلبت به الأمور . إلى المرية (٣) ثم إلى حصن القصر (٤) حيث نفي هنالك، ثم إلى بلنسية (٥) ثم عاد إلى قرطبة (٦) ثم انتقل إلى شاطبة (٧) وبها ألف كتابه طوق الحمامة، وأخيراً استقر به المقام في لبلة (٨)، وقيل في منت يشم: وهي قريته، حيث وافته المنية.

١ الإمام الذهبي، تذكرة الحفاظ ج ٣، ص ١١٤٦.

٢ وهي مدينة عظيمة وسط الأندلس، وبها كانت ملوك بني أمية ومعدن الفضلاء ومنبع النبلاء من ذلك الصقع وبينها وبين البحر خمسة أيام، انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ٤ ، ص ٣٢٤.

٣ المرية ، بفتح الميم وكسر الراء وتشديد الياء : مدينة كبيرة بالأندلس تقع في الساحل الشرقي فيها مرسى للسفن . انظر معجم البلدان ، يجيد أهلها عمل الديباج، انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ص ٥ ، ج ١١٩ .

٤ هو أحد الحصون الكثيرة لمدينة برشتر . (بضم الباء الثانية وفتح التاء: هي مدينة عظيمة في شرقي الأندلس). وهناك حصون أخرى لبرشتر غير حصن القصر منها : حصن الباكّة وحصن قصر مینوقش ، انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ١ ، ص ٣٧١.

٥ بكسر السين وتخفيف الياء: مدينة مشهورة بالأندلس تقع شرق قرطبة، وهي برية بحرية ذات أشجار وأنهار وتعرف بمدينة التراب، وأهلها خير أهل الأندلس يسمون عرب الأندلس بينها بين البحر فرسخ ، انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ١ ، ص ٤٩٠.

٦ انظر ابن حزم : طوق الحمامة في الألفه والألاف، ص ١١٥ ، ١١٦ .

٧ بالطاء المهملة والباء الموحدة مدينة في شرقي الأندلس و تقع شرقي قرطبة، وهي مدينة كبيرة وقديمة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣ ، ص ٣٠٩ .

٨ وهي قرية غربي قرطبة انظر ترجمتها ص ٣.

قال في وفيات الأعيان : "انتهى إلى بادية لبلة فتوفي بها آخر نهار الأحد، لليلتين بقيتا من شعبان، سنة ست وخمسين وأربعمائة، وقيل: إنه توفي في منت ليشم، وهي قرية ابن حزم المذكور رحمه الله تعالى" (١).

وهذا التأريخ لوفاته . المذكور أعلاه . هو موضع اتفاق لكل من أرخ للإمام ابن حزم ولم يخالف تلك الرواية إلا عبد الله بن محمد بن العربي (٢) حيث قال : " توفي بن حزم بقريته وهي على خليج البحر الأعظم في جمادى الأولى سنة ست وخمسين وأربع مائة " (٣). فروايته على ذلك شاذة؛ لأنها مخالفة لما عليه جمهور المؤرخين.

توفي هذا العالم العلم، وقد ترك لنا من الكتب الشيء الكثير ، رغم التغريب والتشريد والنكبات التي ألمت به هو وأسرته، وها هو يحدثنا عن إنتاجه العلمي وهو في ظل اغترابه وبعده عن الوطن قائلاً : "وما ألفنا كتابنا هذا . [يقصد كتاب التقريب لحد المنطق] . وكثيرا مما ألفنا، إلا ونحن مغربون مبعدون عن الوطن والأهل والولد، مخافون مع ذلك في أنفسنا ظلما وعدوانا" (٤).

١ أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان، ج ٣، ص ٣٢٨.

٢ هو الامام العلامة الأديب، ذو الفنون أبو محمد عبد الله بن محمد بن العربي الاشبيلي، والد القاضي أبي بكر (٢) ، ولد سنة ٤٣٥ هـ صاحب ابن حزم، وأكثر عنه ، ثم ارتحل بولده أبي بكر، فسمعا من طراد الزيني ، مات بمصر في أول سنة ٤٩٣ هـ ، ورجع ابنه إلى الأندلس . انظر الإمام الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ١٩ ، ص ١٣٠ .

٣ الإمام الذهبي تذكرة الحفاظ ج ٣، ص ١١٥٤ .

٤ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد المعروف بابن حزم الظاهري: التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية، تحقيق د. إحسان عباس، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٠٠ م ، ج ١ ، ص ٢٠٠ .

قال في نفح الطيب: "وقال صاعد في تأريخه: كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام، وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان، والبلاغة والشعر، والسير والأخبار، أخبرني ابنه الفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه من تواليه نحو أربعمائة مجلد" (١)

ولو لم يؤلف الإمام ابن حزم من كتبه إلا كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل، والمحلى، لكفيا.

قال الشيخ عزالدين عبدالسلام عن المحلى: "ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل " المحلى " لابن حزم، وكتاب " المغني " للشيخ موفق الدين" (٢).

قال ياقوت في معجم الأدباء: "ولهذا الشيخ أبي محمد مع يهود لعنهم الله، ومع غيرهم من أولي المذاهب المرفوضة من أهل الإسلام، مجالس محفوظة، وأخبار مكتوبة، وله مصنفات في ذلك معروفة من أشهرها في علم الجدل كتابه المسمى كتاب الفصل بين أهل الآراء والنحل، كتاب الصادع والرادع على من كفر أهل التأويل من فرق المسلمين، والرد على من قال بالتقليد، وله كتاب في شرح حديث الموطأ والكلام على مسأله، وله كتاب الجامع في صحيح الحديث باختصار الأسانيد والاقتصار على أصحابها واجتلاب أكمل ألفاظها وأصح معانيها" (٣).
ثم ذكر مصنفات أخرى له.

١ المقري التلمساني : نفح الطيب ج ٢، ص ٧٨

٢ الإمام الذهبي: سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي ج ١٨ ، ص ١٩٣ .

٣ ياقوت الحموي : معجم الأدباء ج ٣، ص ٥٥٣ ، ٥٥٤ .

المبحث الثاني: تأثير الحالة الاجتماعية والحالة السياسية على علم ابن حزم وطريقته ومنهجه في التأليف.

أحببت حصر الكلام على عصر ابن حزم في نقطة محصورة محددة وهي توضيح تأثير الثقافة الاجتماعية، والتقلبات السياسية، على علمه، حتى أنأى بنفسه عن السرد التفصيلي الممل، مع الوفاء بهذا الهدف باختصار غير مغل.

المطلب الأول : تأثير بيئة المجتمع وثقافة أهله على علم ابن حزم.

لقد كان للمجتمع الذي يعيش فيه ابن حزم تأثيراً بالغاً في بدايات تعلمه، بل وإلى أن صار مجتهداً يناظر غيره.

أما عن تأثير المجتمع على ابن حزم في بداية تعلمه: فقد مر علينا ذكر عناية أبيه به ، حيث جعل له رقائب من الجواري علمنه الشعر والخط، وحفظنه القرآن، ولم يعرف غير النساء حتى بلغ حد الشباب^(١).

ثم جعل له أبوه ذلك العالم الورع وهو الحسين بن علي الفارسي^(٢) يأخذه إلى مجلس الشيوخ لينهل من علومهم^(٣). بل ولينتفع بصحبة ذلك الرجل الصالح كما صرح ابن حزم نفسه بذلك حيث قال عن شيخه

^١ انظر ابن حزم : طوق الحمامة في الألفة والألاف ، ص ٥٠ .

^٢ تقدمت ترجمته ص ٧ .

^٣ انظر ابن حزم : طوق الحمامة في الألفة والألاف، ص ١٢٣ .

الحسين: "وأحسبه كان حصوراً لأنه لم تكن له امرأة قط، وما رأيت مثله جملة علماً وعملاً ودينياً وورعاً، فنفعني الله به كثيراً وعلمت موقع الإساءة وقبح المعاصي" (١).

ولا شك أن هذه العناية من أبيه كان لها الأثر في استعداده لتلقي العلم. ومن الطريف أن بداية تعلمه الفقه، كان بسبب استهزاء بعض أفراد مجتمعه به حين دخل المسجد لحضور جنازة قبل صلاة العصر، فدخل وجلس ولم يصل تحية المسجد، يقول ياقوت الحموي: "قال لي الوزير أبو محمد بن العربي (٢) أخبرني الشيخ الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم أن سبب تعلمه الفقه أنه شهد جنازة لرجل كبير من إخوان أبيه، فدخل المسجد قبل صلاة العصر والخلق فيه، فجلس ولم يركع فقال له أستاذه: يعني الذي رباه بإشارة أن قم فصل تحية المسجد، فلم يفهم، فقال له بعض المجاورين: له أبلغت هذه السن ولا تعلم أن تحية المسجد واجبة؟ وكان قد بلغ حينئذ ستة وعشرين (٣) عاماً قال فقمت وركعت وفهمت إذاً إشارة الأستاذ إلي بذلك" (٤).

وليت الأمر انتهى إلى هذا الحد ، إذاً لكان الخطب يكون عليه أهون، لكنه بادر إلى الصلاة بمجرد دخوله المسجد بعد العصر عندما انتهى من تشييع الجنازة فصلّى ركعتين فأنبه جيرانه في المسجد، يقول ابن حزم رحمه الله في وصف ذلك: "فلما انصرفنا من الصلاة على الجنازة إلى المسجد مشاركة للأحباء من أقرباء الميت دخلت المسجد، فبادرت بالركوع، ف قيل لي: اجلس ليس هذا وقت صلاة، فانصرفت عن الميت وقد خريت ولحقني ما هانت علي به نفسي، وقلت للأستاذ (٥): دلني على دار الشيخ الفقيه المشاور أبي

١ ابن حزم : طوق الحمامة في الألفة والألاف، ص ١٢٣. وانظر ص ٦ ، ٧.

٢ هو أبو محمد عبدالله بن محمد بن العربي والد القاضي أبي بكر بن العربي . تقدمت ترجمته ص ١٢ .

٣ الصحيح أن سنه كانت حينئذ ستة عشر لأسباب لا داعي للإطالة بذكرها. انظر د. توفيق بن أحمد الغلبزوري الإدريسي : المدرسة

الظاهرية بالمغرب والأندلس نشأتها . أعلامها . أصولها . وأثرها، ص ٤٨٢ وما بعدها.

٤ ياقوت الحموي: معجم الأديباء، ج ٣، ص ٥٤٩.

٥ وهو أستاذه الذي رباه، أبو علي الحسين بن علي الحافظ المحدث انظر ترجمته ص ٧.

عبد الله بن دحون، فدلني فقصدته من ذلك المشهد وأعلمته بما جرى فيه وسألت الابتداء بقراءة العلم، واسترشدته فدلني على كتاب الموطأ لمالك بن أنس رضي الله عنه، فبدأت به عليه قراءة من اليوم التالي لذلك اليوم ثم تتابعت قراءتي عليه وعلى غيره نحو ثلاثة أعوام وبدأت بالمناظرة^(١).

وليس غريباً على ابن حزم أن يسأل من فوره عن الطريق إلى طلب الفقه وهو الذي جُبِلَ على عزة النفس^(٢)، فإن نفسه العزيزة تأبى أن يتكرر عليه الخزي الذي أصابه في ذلك اليوم ، وتأبى عليه أيضاً أن يكون أقل أفراد مجتمعه ثقافة في الدين وقلة في التفقه فيه.

وليس غريباً على ابن حزم أيضاً أن يبدأ المناظرة ، بل وينظر أحسن مناظرة بعد ثلاثة أعوام فقط من تلك اللحظة التي شيع فيها الجنازة؛ وذلك لفط ذكائه، وقوة ذاكرته ، وسعة اطلاعه، وعمق فهمه، وسرعة بديهته^(٣).

واستمع إلى ما أورده الإمام الذهبي في تذكرة الحفاظ عن حفظ الإمام ابن حزم حيث قال: "وقال اليسع بن حزم الغافقي: أما محفوظ أبي محمد فبحر عجاج، وماء ثجاج، يخرج من بحره مرجان الحكم، وينبت بثجابه ألفاف النعم في رياض الهمم، لقد حفظ علوم المسلمين وأرى على أهل كل دين"^(٤).

وخلاصة القول أن المجتمع الذي كان يعيش فيه الإمام ابن حزم كان له الأثر البالغ عليه في بداية تعلمه، فاجتهد في طلب الفقه والعلوم الشرعية، كما كان لمجتمعه الأثر الإيجابي في علمه عندما صار إماماً، حيث كانت المناظرات دائرة بينه وبين فقهاء عصره، ونتيجة ذلك كله كثرة علمه، وكثرة اطلاعه.

^١ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج ٣، ص ٥٤٩.

^٢ انظر ابن حزم : طوق الحمامة في الألفة والألاف، ص ٥٠ .

^٣ انظر ص ٨، ٩ .

^٤ الإمام الذهبي تذكرة الحفاظ ج، ص ١١٤٨ .

ولا يفوتني أن أذكر أن نشأته مترفاً، وقضاء جميع حياته لا يحتاج إلى أحد في المال^(١)، كان لها الأثر الكبير في استقلاله في علمه واجتهاده، وعدم تبعيته لغيره، فقد كان يخالف حتى شيوخه إذا خالفوا الحق في نظره. كما كان لها الأثر الكبير في علو همته، لذلك فهو يعتز بتلك الهمة العالية، مع رجاء أن يكون ذلك خالصاً لله .

يقول المقرئ التلمساني: "ولمّا ناظر ابن حزم قال له الباجي^(٢): أنا أعظم منك همّة في طلب العلم، لأنّك طلبته وأنت معان عليه تسهر بمشكاة الذهب، وطلبته وأنا أسهر بقنديل بائط السوق^(٣)."

فقال ابن حزم: هذا الكلام عليك لا لك، لأنّك إنّما طلبت العلم وأنت في تلك الحال رجاء تبديلها بمثل حالي، وأنا طلبته في حين ما تعلمه وما ذكرته، فلم أرج به إلّا علوّ القدر العلمي في الدنيا والآخرة؛ فأفحمه^(٤)."

^١ انظر الإمام محمد أبوزهرة: تأريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتأريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، ١٩٨٩م، ج ٢، ص ٥٥٤ .

^٢ هو سليمان بن خلف بن سعد (أو سعدون) بن أيوب بن وارث القاضي التجيبي أبو الوليد الباجي الفقيه المتكلم المحدث المفسر الأديب الشاعر ، أحد أقطاب المذهب المالكي، وصاحب المؤلفات الفقهية القيمة، منها المنتقى وإحكام الفصول في أحكام الأصول وغيرها، ولد سنة ٤٠٣ هـ، توفي بالمرية سنة ٤٧٤ هـ . انظر أبو الحسن علي بن بسام الشنتري: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق: إحسان عباس ، دار الثقافة، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ج ٣، ص ٥٢٣ ، و ياقوت الحموي: معجم الأدباء ج ٣، ص ٣٩٣ ، ٣٩٤ .

^٣ يريد أنه يسهر على قنديل الدراب وهو الحارس الليلي وسماه " بائط السوق " لأنه يبيت فيه للحراسة.

^٤ المقرئ التلمساني : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ج ٢ ، ص ٧٧ .

المطلب الثاني : تأثير الحياة السياسية على علم بن حزم.

من الطبيعي أن تؤثر التقلبات والمحن السياسية التي مرت بابن حزم وأسرته على علم ابن حزم، بل وعلى منهجه في التأليف. لا أريد أن أخوض في تفاصيل الحياة السياسية في عصر ابن حزم، فليس هذا هو غرضي في هذا المطلب ، لكنني سأشير إلى مجملها مما له صلة بالمطلوب . وهو أثرها على علمه . من طرف خفي، يفي بالغرض إن شاء الله تعالى.

لقد نشأ ابن حزم في قصر أبيه الوزير عيشة هنية، فيها ما فيها من النعيم، لكن لم يدم هذا النعيم، فقد حل بأسرتهم صدمة نقلتهم من من العزة والجاه والسلطان إلى التغريب والشدة ، ولكنها لم تنقلهم من الغني إلى الفقر كما يقول الإمام أبو زهرة^(١)، وهذه النكبة حصلت لابن حزم وهو في السنة الخامسة عشرة من عمره ويذكر ابن حزم أنهم شغلوا بعد قيام أمير المؤمنين هشام المؤيد بالنكبات، وباعتداء أرباب دولته، وامتحنوا بالاعتقال والتغريب، وأن الفتنة ألفت باعها، فعمت الناس وخصتهم إلى أن توفي أبوه الوزير رحمه الله، وكان ذلك بعد العصر يوم السبت لليلتين بقيتا من ذي القعدة عام اثنتين وأربعمائة، ثم تغلب عليهم البربر، فخرج عن قرطبة أول المحرم سنة أربع وأربعمائة، ولم يدخلها إلا في شوال سنة تسع وأربعمائة^(٢).

^١ انظر الإمام محمد أبوزهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتأريخ المذاهب الفقهية، ج ٢ ، ص ٥٥٤ .

^٢ انظر ابن حزم : طوق الحمامة في الألفة والألاف، ص ١٠٩ .

قال في معجم الأدباء: "وكان أبو عمرو أحمد بن سعيد بن حزم أحد العلماء من وزراء المنصور محمد بن عامر ووزراء ابنه المظفر بعده والمدبرين لدولتيهما، وكان ابنه الفقيه أبو محمد وزيراً لعبد الرحمن المستظهر بالله ابن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر لدين الله، ثم لهشام المعتد بالله ابن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر ثم نبذ هذه الطريقة وأقبل على قراءة العلوم وتقييد الآثار والسنن^(١)."

إذن فقد كان ابن حزم وزيراً كما كان أبوه وزيراً من قبل، واشتغلا فترة بتدبير الممالك، فكان لابد أن يكون لهذا أثراً في علم الإمام ابن حزم. وفيما يبدو لي . والله أعلم . أن للسياسة أثراً في الجانب العلمي لدى ابن حزم .

الأثر الأول: هو أثرها على كمية الكتابة من حيث الكثرة والقلة، فعند انشغاله بالسياسة كانت كتاباته وتأليفه قليلة، ولكنها كثرت عندما ترك الوزارة والاشتغال بالسياسة.

وترجع كثرة تأليفه إلى سببين:

السبب الأول: تفرغه للعلم تفرغاً لم يخالطه انشغال بالسياسة ألبته . السبب الثاني: إحراق كتبه، فقد ولّد فيه رغبة لنشر العلم الذي أراد له مخالفوه من العلماء والحكام أن لا ينتشر، وهيهات فإن ابن حزم لديه مع الرغبة في انتشار علمه عزيمة قوية تأبى الاستسلام، وعزة نفس مفطور عليها تأبى أن يقع الضيم على غيرها ناهيك أن يقع عليها، وله تلاميذ ينشرون علمه في كل مكان يستطيعون نشره فيه، بل لعل من الراجح أن جميع كتبه لم تحرق، إذ إن تلاميذه قد كتبوا وحفظوا الكثير من علم ابن حزم ، فلم يتعرض هذا المحفوظ من كتبه للإحراق.

ولقد كان السبب في إحراق كتب ابن حزم تلك المناظرات وذلك الجدل مع فقهاء عصره، فقد كان يصدع بما عنده بلا تعريض ولا تدريج بل يصك به

^١ ياقوت الحموي : معجم الأدباء ج ٣، ص ٥٤٧.

معارضه" صك الجندل وينشقه متلقيه إنشاق الخردل" (١) حتى ضاق به فقهاء عصره: "فتمالؤوا على بغضه، وردوا قوله، وأجمعوا على تضليله، وشنعوا عليه، وحذروا سلاطينهم من فتنته، ونهوا عوامهم عن الدنو إليه والأخذ عنه، فطفق الملوك يقصونه عن قريبهم، ويسيرونه عن بلادهم، إلى أن انتهوا به منقطع أثره بتربة بلده من بادية لبلة ، وبها توفي رحمه الله سنة ست وخمسين وأربعمئة، وهو في ذلك غير مرتدع ولا راجع إلى ما أرادوا به، يبث علمه في من ينتابه بباديته تلك(٢).

وهو في ذلك غير مكترث، يبث علمه في الأصاغر، الذين لا يخافون فيه لومة لائم(٣)، يؤلف الكتب ، وينشد قائلًا:

وإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي
تضمنه القرطاس بل هو في صدري

يسير معي حيث استقلت ركائبي
وينزل إن أنزل ويدفن في قبري

دعوني من إحراق رق وكاغد
وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري

والأ فعودوا في المكاتب بدأة
فكم دون ما تبغون لله من ستر(٤)

١ أبو الحسن علي بن بسام الشنتري: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق: إحسان عباس ، دار الثقافة، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م ، ج ١ ، ص ٦٨ .

٢ أبو الحسن علي بن بسام الشنتري: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ج ١ ، ص ١٦٨

٣ انظر ياقوت الحموي :معجم الأدباء ج٣، ص ٥٥٢ . وانظر أبو الحسن علي بن بسام الشنتري : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ج ١ ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

٤ ياقوت الحموي : معجم الأدباء ج٣، ص ٥٥٤ .

والأثر الثاني للسياسة في الجانب العلمي لدى بن حزم: هو أثرها في أسلوب الكتابة ومنهج التأليف لديه رحمه الله تعالى. ويمكن تلخيص ذلك الأثر في النقاط التالية:

١- إن الرياسة التي كانت لابن حزم ولأبيه من قبل جعلته يزهد في الدنيا، فأثر ذلك في استقلاليته في جانب العلم، فهو لا يقلد أحداً حتى شيوخه الذين تلقى العلم على أيديهم.

قال تلميذه الحميدي في جذوة المقتبس: "كان حافظاً عالماً بعلوم الحديث وفقهه، مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة، متقناً في علوم جمة عاملاً بعلمه، زاهداً في الدنيا بعد الرياسة التي كانت له ولأبيه من قبله من الوزارة وتدبير الممالك، متواضعاً ذا فضائل جمة، وتواليف كثيرة في كل ما تحقق به في العلوم وجمع من الكتب في علم الحديث والمصنفات والمسندات شيئاً كثيراً، وسمع سماعاً جماً

٢. إن إحراق كتبه قاده إلى ظهور شيئين في تأليفه:

الأول: زيادة تمسكه بالظاهر واتخاذ منهجاً في التأليف.

لا أقول إن اتخاذ الظاهرية منهجاً لم يظهر عند بن حزم إلا بعد إحراق كتبه فإن هذا القول لا يدعيه أحد، بل كان هذا قبل ذلك بيقين فقد تأثر بن حزم رحمه الله بشيخه داوود بن علي الظاهري وبأهل الحديث في أخذهم بظواهر النصوص. لكن أقول: إن إحراق كتبه جعله أكثر تمسكاً بمنهج أهل الظاهر، وذلك لأن بهذا المنهج وعلى وجه التحديد فقط يستطيع أن يقيم الحجة على خصومه، هذه ناحية.

وناحية أخرى وهي أن هذا المنهج بعينه لا غيره كان هو السبب في إحراق كتبه، فأراد رحمه الله أن يثبت لمن أحرقوا كتبه أن هذا المنهج الذي يسير عليه هو الحق الذي ما سواه هو الباطل.

الثاني: زيادة الحدة في رده على الخصوم.

وأنما قلنا زيادة الحدة في رده على الخصوم؛ لأن هذه الحدة كانت موجودة في الأصل^(١)، لكن كانت هذه المحنة . وهي إحراق كتبه . سبباً في زيادتها، حتى شبه لسانه بسيف الحجاج^(٢).

ولعل من أسباب الحدة التي كانت لدى ابن حزم:

أولاً: علة شديدة كانت سبباً في هذه الحدة حكاها بنفسه فقال: "لقد أصابتنى علة شديدة ولدت فيّ ربواً في الطحال شديداً، فولد ذلك علي من الضجر وضيق الخلق، وقلة الصبر والنزق أمراً حاسبت نفسي فيه، إذ أنكرت تبدل خلقي واشتد عجبي من مفارقتي لطبعي وصح عندي أن الطحال موضع الفرح إذا فسد تولد ضده"^(٣).

ثانياً: أذى أهل عصره من الأمراء والعلماء له، حتى بلغ بهم الأمر إلى أن أحرقوا كتبه في إشبيلية علناً وإن ذلك ليخرج الحليم عن حلمه ، والصابر عن صبره، فكيف بمن أصيب بعلة أفقدته الحلم ، وأورثته ضيقاً وقلة صبر . يقول الإمام الذهبي رحمه الله في محنة ابن حزم هذه : "وقد امتحن هذا الرجل وشدد عليه وشرد عن وطنه وجرت له أمور وقام عليه الفقهاء"^(٤).

ثالثاً: ثقة ابن حزم الشديدة بنفسه، واعتدائه برأيه، فهو لا يبالي بمخالفة أحد أياً كان ما دام يرى أن الحق معه.

^١ قال الإمام الذهبي رحمه الله : "وقد امتحن هذا الرجل وشدد عليه، وشرد عن وطنه، وجرت له أمور، وقام عليه الفقهاء لطول لسانه واستخفافه بالكبار ، ووقعه في أئمة الاجتهاد بأفج عبارة وأفظح محاورة وأبشع رد ، وجرى بينه وبين أبي الوليد الباجي مناظرة ومنافرة، قال أبو العباس بن العريف: كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقتين". الإمام الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ٣ ، ص ١١٥٤.

^٢ الإمام الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ٣، ص ١١٥٤.

^٣ أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري : الأخلاق والسير في مداواة النفوس، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ، ج ١، ص ٧١.

^٤ الإمام الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ٣، ص ١١٥٤.

السبب الرابع: تهيج الذين حاربوه له، واستثارتهم ساكنه، وتماديهم في إغضابه.

يقول ابن حزم في ذلك: "ولقد انتفعت بمحك أهل الجهل منفعة عظيمة وهي أنه توقد طبعي واحتدم خاطري وحمي فكري وتهيج نشاطي، فكان ذلك سببا إلى تواليف لي عظيمة المنفعة، ولولا استثارتهم ساكني، واقتداحهم كامني، ما انبعثت لتلك التواليف" (١).

فابن حزم يرى رحمه الله أن تلك الاستثارة فيها إيجابية، وهي انبعاث همته للتأليف.

١ أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري: الأخلاق والسير في مداواة النفوس ج ١، ص ٤٩.

المطلب الثالث: أثر السياسة والمجتمع في عرض ابن حزم للنبوات والعقائد والفرق الإسلامية من خلال كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل.

لقد كان لتباين شرائح المجتمع الذي يعيش فيه ابن حزم وإفرازات السياسة . والتي ألقت بظلالها على نفسية ابن حزم حيث تمالأ عليه الأمراء والعلماء فأحرقوا كتبه . الأثر الكبير في كتابات ابن حزم وبخاصة كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل، فقد راعى فيه إقناع الباحث عن الحق، وإلزام الخصم الحجة، وتبيين الدين ونشره لعامة الأمة بأوضح عبارة. فلا جرم أن يكون : **منهجه في كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل كالآتي:**

لقد حرص الإمام ابن حزم على تحديد الغرض الذي من أجله تعرض لدراسة الفرق والديانات والمقالات، ومنها الفرق والعقائد الإسلامية، ملخصاً ذلك في ثلاثة أسباب هي .:

١. بعض من تكلم في افتراق الناس في دياناتهم ومقالاتهم، أطال وأسهب، وأكثر وهجر، واستعمل الأغاليط والشغب، فكان ذلك شاغلاً عن الفهم، قاطعاً دون العلم .

٢- وبعضهم حذف وقصر، وقلل واختصر، وأضرب عن كثير من قوى معارضات أصحاب المقالات، فكان في ذلك غير منصف لنفسه في أن يرضى لها بالغبن في الإبانة، وظالماً لخصمه في أن لم يوفه حق اعتراضه، وباخساً حق من قرأ كتابه إذ لم يغنه عن غيره.

٣- وكلهم . إلا تحلة القسم . عقد كلامه تعقيداً يتعذر فهمه على كثير من أهل الفهم، وحلق على المعاني من بعد حتى صار ينسي آخر كلامه أوله،

وأكثرنا من هذا بغرض أن يستروا فساد معانيهم، فكان هذا منهم غير محمود في عاجله وآجله^(١).

ونستطيع أن نقول: إن الإمام ابن حزم وضع بتلك الكلمات منهجه في دراسته للعقائد والفرق، ويتمثل ذلك المنهج في الآتي:-

١- عدم التطويل والتعقيد الشاغلين عن الفهم، ومن ثمار ذلك الوضوح في الرأي، واجتناب التعقيد في الفكر الناتج عن حرصه على المبالغة في بيان اللفظ.

وقد قال في ذلك رحمه الله تعالى: "وبالغنا في بيان اللفظ وترك التعقيد راجين من الله تعالى على ذلك الأجر الجزيل"^(٢).

٢- عدم الاختصار المخل، ومن ثمار ذلك استيفاء حجج الخصوم عند العرض، وإيراد البراهين الموصلة للحق، مستنداً تارة إلى الحس، وأخرى إلى بديهية العقل، وثالثة إلى ما دل عليه السمع.

قال أبو محمد رحمه الله تعالى: "فجمعنا كتابنا هذا مع استخارتنا الله عز و جل في جمعه وقصدنا به قصد إيراد البراهين المنتجة عن المقدمات الحسية أو الراجعة إلى الحس من قرب أو من بعد على حسب قيام البراهين التي لا تخون أصلاً مخرجها إلى ما أخرجت له وألا يصح منه إلا ما صححت البراهين المذكورة فقط إذ ليس الحق إلا ذلك وبالغنا في بيان اللفظ

^١ أبو محمد علي بن محمد بن سعيد المعروف بابن حزم الظاهري: الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق د. محمد إبراهيم نصر، د. عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط ٢، ١٤١٦ هـ، ١٩٩٦ م، ج ١، ص ٣٥، ٣٦.

^٢ ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ١، ص ٣٦.

وترك التعقيد راجين من الله تعالى على ذلك الأجر الجزيل وهو تعالى ولي من تولاها ومعطي من استعطاه لا إله إلا هو وحسبنا الله ونعم الوكيل" (١).

وكان منهجه في عرضه للنبوات كآلآتي:

نستطيع القول بأن كل ما ذكر من منهج ابن حزم في دراسته للعقائد والفرق هو عينه المنهج الذي ارتضاه لنفسه في عرضه للنبوات، إذ النبوات هي بعض ذلك، لكن لنا أن نفصل في ذلك أو نزيد، فنقول: إن من منهجه في عرضه للنبوات:

١ . العناية الفائقة باللغة العربية بكل جوانبها (٢): ألفاظها وتراكيبها وبلاغتها وسبل الاشتقاق فيها؛ ذلك لأن اللغة عنده هي التي:

أ . يعبر بها عن المسميات وعن المعاني المراد إفهامها (٣) .

ب . تبين اللفظ غاية البيان بعيداً عن التعقيد ، كما أفصح هو بنفسه عن ذلك قائلاً " وبالغنا في بيان اللفظ وترك التعقيد راجين من الله تعالى على ذلك الأجر الجزيل" (٤).

١ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ١ ، ص ٣٦ .

٢ مجيد خلف منشرد : (منهج ابن حزم في دراسة الفرق والعقائد الإسلامية) ، سلسلة بحوث وتحقيقات مختارة من مجلة الحكمة العدد (٢٣)، ص ٣.

٣ علي بن أحمد بن سعيد بن حزم : الإحكام في أصول الأحكام، ط ١ ، دار الحديث ، القاهرة ١٤٠٤ هـ، ج ١ ، ص ٤٦ .

٤ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ١ ، ص ٣٦ .

ونتيجة ذلك أن اللغة:

ج . تقوي حجة الباحث؛ لذلك قد يحتج باللغة في إثبات صواب قوله في تعريف بعض المصطلحات التي يدور حولها الخلاف ، ومثال ذلك تعريفه للنبوة حيث قال "فوجب طلب الحق في ذلك بأن ينظر في معنى لفظة النبوة في اللغة التي خاطبنا الله بها عز وجل، فوجدنا هذه اللفظة مأخوذة من الإنباء وهو الإعلام، فمن أعلمه الله عز وجل بما يكون قبل أن يكون، أو أوحى إليه منبأً له بأمر ما، فهو نبي بلا شك" (١).

وهو يحاول إقناع القارئ هنا باستخدامه اللغة كوسيلة من وسائل الإقناع . ولا ريب أنه نجح في إقناع غيره، بل سيطر هذا القول على غيره ممن جاء بعده فقال بنبوة النساء، وفقاً لاقتناعه بتعريف النبوة بما سبق، استناداً إلى اللغة. وتجدر الإشارة إلى أن الإمام ابن حزم لم يحصر استخدامه اللغة كوسيلة مهمة من وسائل الإقناع في عرضه للنبوات فقط، بل في سائر دراسته للعقائد والفرق.

وبالجملة فقد استفاد ابن حزم استفادة عظيمة من اللغة " لبيان قيمة منهجه العلمي في مناقشة العقائد المختلفة، التي سادت الساحة الفكرية الإسلامية آنذاك، وبذلك يكون ابن حزم أول من اهتم بهذه النقطة (٢) من العلماء المسلمين فيما وصل إلينا من مصادر، الأمر الذي يعطينا تقييماً حقيقياً لنتاجه هذا وإبداعه فيه " (٣).

١ ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥، ص ١١٩ .

٢ المقصود بهذه النقطة أي: استخدامه اللغة كوسيلة من وسائل الإقناع في مناقشته للفرق والعقائد.

٣ مجيد خلف منشدر : (منهج ابن حزم في دراسة الفرق والعقائد الإسلامية) ، سلسلة بحوث وتحقيقات مختارة من مجلة الحكمة العدد

٢. إفادته من الفلسفة وعلم المنطق كأداة للتوضيح والإلزامات عند رده على خصومه.

وكمثال: استخدامه ذلك في توضيحه للفرق بين المعجزات والسحر حيث قال: "وإنما يلوح الفرق جداً بين هذين السبيلين^(١) لأهل العلم بحدود الأسماء والمسميات، وبطبائع العالم وانقسامه من مبدئه من أجناس إلى أنواعه إلى أشخاصه، وما هو عليه من أعراضه ذاتي وما هو منها غيري، وما يسرع الاستحالة والزوال من الغيري منها وما يبطيء زواله منها، وما يثبت منها ثبات الذاتي وإن لم يكن ذاتياً، والفرق بين البرهان وبين ما نظن أنه برهان وليس برهاناً، والحمد لله على ما وهب وأنعم به علينا لا إله إلا هو"^(٢).

وقال في الرد على الفلاسفة المنكرين للشرائع: "أليست الفلسفة بإجماع من الفلاسفة مبينة للفضائل من الرذائل؟ موقفة على البراهين المفرقة بين الحق والباطل؟ فلا بد من نعم وضرورة فيقال له: أليس الفلاسفة كلهم قد قالوا صلاح العالم بشيئين: أحدهما باطن والآخر ظاهر؟ فالباطن هو استعمال النفس للشرائع الزاجرة عن تظالم الناس وعن القبائح، والظاهر: هو التحصين بالأسوار، واتخاذ السلاح لدفع العدو الذي يريد ظلم الناس والإفساد، ثم أضافوا إلى إصلاح النفوس بما ذكرنا إصلاح الأجساد بالطب؟ فلا بد من بلى ضرورة"^(٣).

^١ يقصد بالسبيلين : سبيل المعجزات وسبيل السحر.

^٢ ابن حزم الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٥ ، ص ١٠٣ .

^٣ ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ١، ص ١٧١ .

ثم ناقشهم في قولهم بأن الأنبياء يكذبون فيأتون بالشرائع من عند أنفسهم لمصلحة الجمهور، واستطرد في ذكر تناقضاتهم، وضيق عليهم بالإلزامات، إلى أن قال: "والقائلون بهذا القول مجدون في كشف سرهم هذا الى الخاص والعام، فقد أبطلوا علتهم جملة، وتناقضوا أقبح تناقض" (١).

٣ . يستدل بالقرآن والسنة والإجماع فكلها عنده حجة، ويعتمد على استصحاب البراءة الأصلية متى ما احتاج لذلك، وتجدر الإشارة إلى تأثيره بالمنهج الظاهري بحيث أن الحجة عنده هي النص لا غير، وقد يستشهد بالتأريخ، والجغرافية، والحساب في إثبات الحقائق أو التذكير بها، أو البرهنة على شيء ما .

٤ . وقد يلجأ ابن حزم في نهاية كلامه على بعض المسائل إلى "تلخيص رأيه على شكل خلاصة مركزة، وتقديمها للقارئ" (٢).

٥ . قد يستخدم الحدة في الرد، مثل قوله: " وصرحوا بما كنا نريد أن نلزمهم فقالوا : غير مساترين، لا يصح إسلام أحد حتى يكون بعد بلوغه شاكاً غير مصدق .

قال أبو محمد : ما سمعنا قط في الكفر والانسلاخ من الإسلام بأشنع من قول هؤلاء القوم، أنه لا يكون أحد مسلماً حتى يشك في الله عز و جل، وفي صحة النبوة، وفي هل رسول الله صلى الله عليه وسلم صادق أم كاذب؟ ولا سمع قط سامع في الهوس والمناقضة والاستخفاف بالحقائق بأقبح من قول هؤلاء" (٣).

^١ ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ١، ص ١٧٣ .

^٢ مجيد خلف منشد : (منهج ابن حزم في دراسة الفرق والعقائد الإسلامية)، سلسلة بحوث وتحقيقات مختارة من مجلة الحكمة العدد (٢٣)، ص ٩ .

^٣ ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٤، ص ٤٧ .

وقد وضعنا أن من أسباب هذه الحدة، هو حرص ابن حزم على الحق، مع مقدار من الاعتزاز بالنفس، هذا مع وجود مرض في الطحال شديد ولد له هذه الحدة ، واستثارت مخالفته وإغصابهم له^(١) ، وربما تكون للنقاشات التي دارت بينه ابن حزم وبين غيره من المخالفين له كأبي الوليد الباجي أثر في هذا ، وقد انعكست هذه على جوانب أخرى من أسلوبه^(٢).

٦ . انتهج طريقة معينة في ترتيب موضوعه قيد البحث تتمثل في: "تقرير الأسس للعقيدة قيد الحث، ثم بسط للدعوى ، ثم استعرض آراء الخصوم وأدلتهم، ثم دفعه للشبه وبرهان للحق الذي ينتصر له، وهي طريقة محكمة متكاملة"^(٣).

٧- الأمانة العلمية قال الإمام ابن حزم: " وليعلم من قرأ كتابنا هذا أننا لا نستحل ما يستحل من لا خير فيه من تقويل أحد ما لم يقله نصاً ، وإن آل قوله إليه "^(٤).

٨ . إهتم ابن حزم بلغة الأرقام، وجعلها من أدوات بحثه، ويتضح ذلك لكل من قرأ كتاب الفصل، خاصة عندما تكلم على التحريف في كتب اليهود والنصارى..

^١ انظر ص ٢٣ ، ٢٤ .

^٢ مجيد خلف منشرد : (منهج ابن حزم في دراسة الفرق والعقائد الإسلامية) ، سلسلة بحوث وتحقيقات مختارة من مجلة الحكمة العدد (٢٣)، ص ١٠ .

^٣ انظر مجيد خلف منشرد : (منهج ابن حزم في دراسة الفرق والعقائد الإسلامية) ، سلسلة بحوث وتحقيقات مختارة من مجلة الحكمة العدد (٢٣)، ص ٢٥ . وأحال إلى سعيد الأفغاني، ابن حزم ورسالة المفاضلة ص ١٥٨ ، ١٥٩ .

^٤ ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥ ، ٣٣ .

ويمتاز الإمام ابن حزم في أسلوبه باستخدامه لفظ: "قال: أبو محمد" كثيراً لتتبيه القارئ إلى أمور من ضمن ذلك^(١):

أ- تتبيه القارئ على بداية فقرة جديدة.

ب- قد يستخدمها أحياناً لإيراد المصدر الذي يأخذ معلوماته منه.

ت- قد يستخدمها في بعض الأحيان لنقل آراء العلماء بعدها.

ث- قد يستخدمها لنقل أدلة الخصوم وحججهم.

ج- قد يستخدمها لإبطال أدلة الخصوم عن طريق إيراد لهجته.

ح- قد يستخدمها ليورد بعدها آراء الناس في مسألة معينة.

خ- قد يستخدمها كوسيلة لإيراد بعض المناظرات التي تحصل بينه وبين من يناظره.

د- قد يستخدمها لينبه القارئ أن ما سيورده بعدها هو رأيه.

^١ مجيد خلف منشد : منهج ابن حزم في دراسة الفرق والعقائد الإسلامية ، سلسلة بحوث وتحقيقات مختارة من مجلة الحكمة العدد (٢٣) ،